ظاهرة الانحلال في الحضارة الحديثة

بقلم : سامي عطفة

قد يكون من الغريب ، أن يعرض الموت ، كموضوع للبحث ، دفعة واحدة . بل إن القارئ لن يتقبله كموضوع للبحث إلا بكثير من الاستهجان ، وعلى مضض. ذلك لأن الموت كان دائماً يفسر على أنه الفناء المحض للطبيعة البشرية ، ولقد كان بحثه كمسأله وجودية ، من حق الدين والفلسفة ، وذلك لما يحمله من طابع ميتافيزيائي صرف .

لقد كثر الحديث عن الموت ، في عصرنا الحديث ، بمناسبة او بغير مناسبة. ذلك أن الحروب الرهيبة الكاسحة التي فرضها العصر الصناعي ، الى جانب اكتشاف قوى جديدة في الطبيعة ، يستعملها الانسان للتدمير ، قد فتحت الأبواب أمام شبح الموت ! فليس هنالك من يفكر بالقنبلة الذرية ، ولو فكر فيها كوسيلة للحفاظ على السلم العالمي ، إلا ويسمع نذير الموت ، ويسمع الطرقات تتكرر على الأبواب المقفلة ، الطرقات الرهيبة المستعجلة .. ويفكر الأنسان أحياناً : « أننا على أبواب عصر جديد .. قوي بامكانياته .. » ثم يهمس وجلا : « ولكننا قد لا نستطيع السيطرة .. قد يفلت الزمام من ايدينا .» وهذا ما فكر فيه أحد علماء الذرة : « اكتب لأخيفكم ، أنا أيضاً خائف ، وجميع العلماء الذين أعرفهم خائفون . » (١)

الانسان الاوروبي يتحدث عن الموت ، يراه ويصفه ، ويكاد يحسه ، ولكنه لا يعترف بذلك ، فهو رغم الرعب الذي يدب في قلبه يفتش عن وسيلة للحياة ، عن امكانية جديدة للحياة ، فهو يدرك تماماً أن الزمام قد خرج من يديه ، ولاشك أن المحاضرة التي القاها الأستاذ « امانويل مونيه » في قاعة المحاضرة بالسوربون بعنوان «حديث عن نهاية العالم » تكشف لنا بصورة بينة المرض الذي استبد في أعقاب الحرب العالمية الثانية باوروبا ، والذي حدثت فيه جملة من المضاعفات ، « لقد استطاع الكنيك هنا أن يلحق بالتكنيك ، وليس الأمر كذلك في الاقتصاد وفي السياسة ، فاننا نرى بوضوح ، أن تعقد الجهاز الحديث يطرح مشاكل لا يتوصل فن الحكم والإدارة الى حلها ، فالذين لا يزالون يعتبرون بحكم العادة القابضين على السلطة ، يكررون كلاماً مألوفاً يسمى خطباً ، ويقومون باحتفالات تقليدية أمام مجالس من الوجهاء ، ولكن كل أنسان يعلم حق العلم أنهم لا يسيرون الآن شيئاً ، وأن العجلات تدور على فراغ ، وأن الأمور تجري على غير ما رسم لها ، وأنه ما من أنسان يعرف ، في أي من الأمور ، ما الذي سيقع غداً ، ولا في أية جهة سيقع ، ولا من سيقع ، ولا نحو أية نتائج يتجه ، وبعضنا يعرف هذا العالم المرعوب المرعب ، لأنه يحتل فيه مراكز مسؤولة ، ونحن نواجهه جميعاً من الشبابيك التي يفتحها له على العالم الخارجي ما لا يزال يسمى بالادارات ، من قبل تسمية الشيء بغير أسمه . » (٢)

« أنا أيضاً خائف ...» هذه الصيحة التي يطلقها اليوم رجال العلم ، وهم يلاقون وجهاً لوجه المارد الرهيب الذي خلقوه ، وهذا ليس من مزية الخالقين ، اي أنه موقف الصبي الذي يدخل كهفاً من كهوف الليل المسكونة ، غير متسلح إلا بالتحدي . وإن هذا يذكرنا على كل حال بالصيحات التي كان يطلقها فاوست فتنم عن ذعره أزاء الموبقات الرهيبة الجديدة . إن من شأن هذا الخوف أن يزيل الثقة من قلوب الناس وخاصة من آمن منهم بالعلم وحده . ولاشك في أن عالماً تفقد فيه الثقة الى هذه الدرجة بمكتشفات العلم واهدافه ، هو عالم يتذبذب فوق الهاوية المظلمة .. والزمام قد خرج من يد رجال الحكم والادارة. والسؤال : « ما الذي سيقع غداً ؟ » يدور على كل لسان ، ليفضح القلق الغامض والتوجس الذي يحيا في كل الأفئدة .

وهنا نتساءل : ما هو دور رجال الفكر والكتاب والأدباء ؟ إن في العالم اليوم ، حشداً واسعاً منهم ، ولاشك أن الميل كان دائماً قوياً ، لدى الناس ، الى وضع العبء كاملا على اكتاف هذا النوع من الرجال ، وخاصة عندما يعجز عنه الآخرون ، ويطلب منهم على الغالب ، تجهيز ثورة على ما تريد الجماهير هجره من نظم واوضاع ، يطلب منهم تقديم الفكرة دائماً . ولقد كان دائماً من دواعي فخر هذا النوع من الرجال ، أنهم يجازفون بتقديم حلول ، وافكار وعقائد . غير أنه لا يمكن أن نقول الآن ، ان المفكرين في اوروبا أقدر من السياسيين والاداريين فيها على مواجهة الأمور ، وتحدي هذا الوباء الذي يرتع في المجتمعات ، ورغم أننا نسمع بأسماء مطرية كالتقدمي ، والاشتراكي ، والثوري ، فاننا ندرك أيضاً أن موقف هؤلاء ذوي الارادة الطيبة ، كموقف الطبيب الحاذق من جسد يشرف على الموت ، فالطبيب الحاذق ، عندما يكون الموت اكيداً ، يصبح أفشل من ابناء مهنته المغمورين . بل وربما كان أبلدهم جميعاً . لقد أصبح الكاتب الأوروبي يكتب لطبقة معينة ، متجاهلا كل الحقائق الأخرى ، ولاشك أن قضية هذه الطبقة على غاية من الأهمية ، غير أن وضع الكاتب نفسه في حيز معين ، في أفق معين ، يجعله متمتعاً بنقائص المتعصبين . ويجعله بالتالي عاجزاً عن كشف الحقيقة . هل يظن الكاتب الغربي أنه أمام معضلة طبقة ؟ أم يجد نفسه أمام حضارة في طور النزاع ؟ لاشك أن الكاتب الغربي لن يعتبر السؤال الثاني سؤالا جدياً .

إن « الكتاب لا يدور على السنتهم غير هذه الكلمة ، كلمة العذاب .. » (١) إن الكاتب الشاعر الذي يكتب لغيره ، للطبقة المعينة مثلا ، تجده يجمع الفظائع والاستبداد والآلام ثم يلقيها دفعة واحدة على كواهل أبطاله ، فهو يلجأ الى طبقته ، يتستر وراءها ، ولاشك أن هذا الافتراض لا يطمع بالكثير من التصديق بالنسبة للمفاهيم السائدة ، ولكن هذا لاينقض الواقع الاكيد «ولكن اليأس ليس فكرة ، وانما هو ضنى يحز في القلب ويضع في القلب حيث يحز فيه ، قلقاً لا يزول ، قلقاً يتوتر كلما لاح خطر . وليست الحياة ازاء هذا القلق فكرة بل قوة لا تقهر اذا حرمت من المستقبل احتجت وانتفضت . هذا القلق وهذا الاحتجاج يولدان لنا اليوم أدباً رواقياً جميلا . » (٢)

فالحلول التي طلبت من جهرة الكتاب قدمت للجماهير المتلهفة ، في صيغ فلسفية جامحة ، واذا القلق يرتسم من جديد. ونحن العرب نعرف بعض هؤلاء الكتاب ، لكثرة ما ترجم من نتاجهم . اننا نعرف ألبير كامو الفرنسي — الجزائري ، ونعرف بعض مفاهيمه الفلسفية المشهورة « العبث » وتشكل الوعي الأنساني أمام العالم « اللامعقول » والنتيجة هي « التمرد » . ولاشك

(١) : عدد «المعلم العربي » الخاص أيار وحزيران ١٩٥٥ ، ص — ٢٣ ، مجموعة محاضرات الاونيسكو ، تعريب الأستاذ سامي الدروبي .

(٢) : المصدر السابق ص : ٢١ ، ٢٢ .

(١) : المصدر السابق ص — ١٥

(٢) : المصدر السابق ص — ١٧

أن هذه الاشارة لا تكفي لدراسة هذا المذهب . غير أن المهم – وقد قرأ كامو. كثيرون – هو أن نلاحظ فهمه للعالم ، ثم الموقف الذي يلزم به الأنسان ، فالتمرد ليس حلا كافياً . ان الكتاب اجمالا ، يضعون حلولا وأشباه حلول ، مشوهة ، مطاطة ، لا يعمل بها أحد اطلاقاً .

الأنسان الأوروبي خلق المعجزة من الصناعة : انه أوجد المعجزة كما يقول بول ڤاليري ، ولكنه فجأة يقفز في جنون الرعب كي يهرب من العملاق الذي وضعته الأقدار في خدمته.. فكان كالصياد الذي عثر على قمقم لا يدري كنهه ، ففتحه ليواجه المارد على غير انتظار فيهرب من خادمه الجبار الذي لا يعرف حدود اللياقة .

ولكن يجب الا نعزل الكتاب ورجال العلم والسياسيين ، وندع الجسد الاوروبي ، فالظاهرة تأخذ طريقها الى الوجدان العام والى قلب الفرد نفسه ، فتطبع حياة الجميع باليأس . « والأنسان الحديث في تخوفه ، لا يسنده الأمل المسيحي ، انه يستطيع كالمسيحي الذاهل أن يهييء لنفسه كثيراً من انواع الراحة في هذا العالم الذي لا راحة فيه ، اذا هو قبل أن يوارب وأن ينثني ، ولكن هذا البناء سرعان ما يتهدم ، كأن حياة الناس الفردية ينتابها ارهاق أصم ، ولما كان تجمع كثير من الاضطراب الخفي ينتهي دائماً بتوليد عرض عام ، فانه ما أن تنقضي بضعة أجيال حتى ينبجس في كل مكان تشاؤم جديد يرين على العصر . » (١) ولقد تفشت هذه الظاهرة ، فنال منها الفرد الاوروبي قدراً متكافئاً مع نصيب الآخرين منها .. كان ذلك في ازمان متتابعة أتى في آخرها ، وليس في ختامها شعور التحفز الراهق ، الذي يشير الى توقع ما هو كارثة ، أو ما يشبه الكارثة . فيسود الهلع والذعر أحياناً ، وأحياناً يخيم على العالم قبس من الأمل ، لقد ظهر هذا القبس لآخر مرة في اجتماعات جنيف بين ممثلي الدول في مؤتمر الطاقة الذرية ، ولقد أنصبت الآمال على فكرة واحدة هي ضمان الحياة لهذه الحضارة ، وأبعاد شبح الذعر .. وقام العالم بتظاهرة كبرى من مراسلي دور الأنباء والصحف والاذاعات ودور التلفزيون ، وانتشرت الأنباء السارة .. الذرة تقود الى عصر جديد ، لم ير الأنسان مثله من قبل ، في رفاهيته وكفاياته ، عصر يقضي على أسباب التنازع بين الدول ، بين الرأسمالية والشيوعية ، بين الاسياد والعبيد ، بين الطبقات ، ويغني الأمم عن الثورات التي تحدثها المبادئ المستحدثة بين حين وآخر (!) . غير ان أجتماع « الكبار » خيب هذه الآمال التي بدا ، فيما بعد ، أنها جاوزت الحد المعقول . ولقد ظهر جلياً أن عملية القمار المكشوف هي التي تقود العالم ، لا ذلك الشيء الذي وسم بالنية الحسنة القائمة على محاولة تلافي المصير السيء للأنسان ، وذلك باستخدام الذرة كقنبلة لا كمرافق من أجل عصر السلام الذري ، وظهر ماساه الناس بالنية السيئة لدى الكبار .. وتجددت الحرب الباردة .

هل نظر الانسان خلال هذه المرحلة من القلق الى نفسه ؟ . أم أن الأنسان تعلق بأشياء خارج ذاته ؟ . لقد اصبح العالم ينجر وراء السياسيين في تخبطهم ، وهو يؤمن بقدرتهم على حل الأمور لو توفرت لديهم النية الطيبة . هل هذا حقيقي ؟ إن اكثرنا يفكر ، للأسف ، أن هذه النية السيئة قائمة على اسس مصطنعة ، وأن من السهولة – بالرجوع الى تفهم قضايا الأنسانية – التخلي عنها . غير أن الحقيقة التي نرفضها دائماً هي أن هذه النية قائمة على مسائل أصلية متأصلة في العصر الصناعي . ان الصناعة وحدها هي التي تفرض المشكلة في الحياة الاوروبية ، الصناعة بكل ما فيها من آلية وانماط وأنسياق مع حاجتها . وليس يمكن الحكم على الصناعة وقوانينها من الجانب الأخلاقي ، بل إن سبيل الحكم عليها لا يكون الا في القانون ، فليس يمكننا أن نصف الآلية بأنها عيب ، بل يجب أن ننظر اليها ، لفهم طبيعة المشكلة ، على أنها القانون الوحيد في الصناعة الكبرى . وليس للانسان إلا أن يلغي ارستقراطيته ونبالته وذاتيته وينحني أمامها . لقد عبر ماركس عن هذه القوانين في فلسفته ، ففسر الحياة على أنها الوجه الظاهر لتناقضات المادة « هل يحتاج المرء الى تعمق كبير ليدرك أن آراء الناس ونظراتهم ومفاهيمهم ، أن وجداتهم بكلمة واحدة يتغير مع كل تغير يطرأ على ظروف حياتهم ، وعلاقاتهم الإجتماعية ، وشروط معيشتهم الاجتماعية وماذا يبرهن تاريخ الأفكار سوى أن الأنتاج الفكري يتبدل مع تبدل الأنتاج المادي » (١) فأساليب الانتاج القديمة خلقت الطبقات الاقطاعية . وتطور هذه الأساليب أظهر البورجوازية ، ثم أدى هذا التطور في العصر الصناعي الكبير الى خلق طبقة البروليتاريا . وكان لكل طبقة افكارها ومثلها العليا الملائمة لوضعها الاجتماعي ، فكل مظاهر الحياة الأنسانية ليست إلا نتيجة لديالكتيك المادة . وهذا يجعل الشيء الانساني لدى الماركسيين نتيجة لا أساساً كما كان الأمر لدى الانسانيين . ومبادئ ماركس وأفكاره لا تقيم كبير وزن للنية ، بل إنه يخضع كل شيء للحتمية التاريخية « ولكن البورجوازية لم تصنع الأسلحة التي سوف تقتلها فحسب ، بل أخرجت أيضاً البشر الذين سيستعملون هذه الأسلحة ، ألا وهم العمال العصريون أو البروليتاريا . فبمقدار ما تنمو البورجوازية ، يعني رأس المال ، تنمو البروليتاريا ، الطبقة العاملة العصرية ، وهي طبقة كادحين لا يعيشون إلا اذا وجدوا عملا ، ولا يجدون عملا إلا بمقدار ما ينمي تعبهم رأس المال . » (٢) ولا شك في أن الشيوعيين المعاصرين

(١) : المصدر السابق : ص – ١٥

(١) : البيان الشيوعي . الترجمة العربية ص – ٥٣ .

(٢) : البيان الشيوعي . ص – ٣٦

لجنة التأليف المدرسي

تقدم افضل الكتب التوجيهية والتربوية

المروج : ستة اجزاء في القراءة العربية

كيف اكتب : اربعة اجزاء في الانشاء العربي

الجديد في دروس الحساب : خمسة اجزاء

حسابي : جزءآن للاطفال .

الجديد في دروس الاشياء : اربعة اجزاء

الجديد في قواعد اللغة العربية : اربعة اجزاء

الجديد في الخط العربي : خمسة دفاتر

التعريف في الادب العربي : جزءان للمدارس الثانوية

J'apprends le Français

ثلاثة اجزاء في القراءة الفرنسية

اطلبها من دار المكشوف ، ودار بيروت ودار العلم للملايين ، ومكتبة انطوان ، ومكتبة لبنان

يغالطون تعاليمهم عندما يرجعون المشاكل إلى النية السيئة ، فالعصر الصناعي هو المسؤول عن المشاكل، هو منبع الازمة . والمسألة موجودة بصورة طبيعية وليست مصطنعة . ولنقل بأن المشكلة هي التي تفرض على السياسيين هذه المواربة وهذا السوء في النية .. وماذا كان في وسع الوزراء الكبار المجتمعين ؟ انه لو كان في وسعهم أن يجدوا السبيل الى حل نهائي وفشلوا ، لكان على الأمم والشعوب أن يحكموا على هؤلاء الكبار بالموت لقاء عدم اتفاقهم على حل المشاكل التي تهدد العالم بالانحلال والموت .

أما البورجوازي الغربي فقد غرق بالشطط الى أذنيه ، إنه يثق بارقامه ، بالمصنع والرأسمال .. وليس العالم أمام عينيه إلا سوق تجارة وكسب ، وإن السياسة الغربية قد رسمت على هذا الأساس ، توفير المواد الأولية ، توفير اليد العاملة ، توفير السوق التجارية . وفي سبيل ذلك نشأ استرقاق الشعوب والاستعمار ، وفي سبيل ذلك نشأ الصراع الوحشي بين البورجوازيين لأقتسام العالم وتمكين نفوذهم في مناطقه ، ونشأ الصراع بين الطبقتين البورجوازية والبروليتاريا . ولا شك في أن العقلية البورجوازية لا تقيم كبير وزن لمبادئ الشرف والاستقامة ، فسيف البورجوازي هو المخاتلة والطمع والاستفادة من الفرص ، ولقد عمد البورجوازي إلى جماعة من المقاولين ليحملوا اليه العالم ، وهؤلاء هم السياسيون ، ويمكننا أن نفهم ببساطة كيف أن رئيس الولايات المتحدة خاصة لا ينجح في انتخابات الرئاسة إلا على مساندة ارباب الشركات له . ويمكننا أن نقدر كم يكون « ثقة » مثل هذا الرئيس ؟ . وفي هذا العالم المتعادي حيث تضخمت القوى والوسائل وسيطر الانسان على الطبيعة وأخرج مواردها ، وحيث الأسواق التجارية تزن الخطوات التي يخطوها السياسيون ، نشأت مقاييس جديدة تقوم على التجارة ، فالدولة الصناعية إما أن تجد أسواقها بالاستثمار والاستعمار والرق والحرب ، وإما أن تسلم نفسها الى الموت ، ولكنها لما كانت لا تفضل الموت فهي ترمي ، حين يقتضي الأمر ، عدوتها بكل ما تستطيع من قوة . سواء كانت هذه القوة ، كقنبلة ذرية أم مدفعاً ام أوبئة قاتلة .. وهنا يواجه الأنسان الحديث الموت وجهاً لوجه « وقد قال العلم انه بقي في عمر الأرض بضعة مليارات من السنين قبل أن تتجلد ، ولكن ها نحن نلتقي اثناء الطريق بمفاجأة جديدة ، اذ نكتسب قدرة فريدة ، تخالف كل ما عداها من قدرات ، هي القدرة على تحطيم هذه السيادة وتحطيم الأنسانية التي تحملها وتحطيم قدرتها على خلق قدرات . هذه لحظة رائعة . فما كان يمكننا أن نقول عن الأنسانية قبل الآن انها سيدة مستقبلها ، لأنها كانت لا تزال مضطرة الى أن يكون لها مستقبل ، في حين أن كل أنسان كان يستطيع ، بمفرده ، متى شاء ، أن يفرغ رصاصة في صدغه . أما الآن فعلى الأنسانية أن تختار ولابد لها بداهة من جهد الأبطال حتى لا تختار السهولة ، اعني الانتحار ، ويمكن أن يقال أن نضجها يبدأ في هذه الساعة . » (١) إن تفجير هذه السيادة لا يبرره إلا انتصار الارادة الشريرة في العالم . ويجدر بنا بنا أن نتساءل : أمن أجل هذا عاش الأنسان وانتظم الكون ؟ .. إننا مسؤولون عن شقاء الأنسان ، ليس في عصرنا هذا فحسب ، وأنما في جميع العصور السابقة ، ونحن مسؤولون عن ولادة جيل جديد في المستقبل . لقد تعب الأنسان القديم وشقي ، فتشرد في الغابات وتحمل الظلم والرق والعبودية والبربرية في سبيل اخراج أنسان راق كريم ، فنحن يجب أن نحمل هذا العبء لأننا لسنا الولادة الأخيرة لهذا الجنس ..

إن النظريتين الدينية والتطورية الى الأنسان تشيران الى أن غاية واحدة تبرر حياته . وهذه الغاية هي الرقي والكمال ، ونستطيع على أساسها أن نقول مع المتفائلين : إن العالم لن ينتهي الآن .

لكن الصيحة المتشائمة « العالم سينتهي وشيكاً » ترددت كثيراً في فترات متعاقبة من التاريخ . وكانت تأتي غالباً في أعقاب الكوارث السياسية من الحروب الطاحنة وسقوط الامبراطوريات .. الخ . وينبغي على كل حال ألا نلوم من عاش عام ٦٥٦ هـ في بغداد إن قال وهو يرى سقوط هذه العاصمة المزهرة ، والدماء الغزيرة وماء دجلة الأسود والبرابرة القساة : « العالم سينتهي وشيكاً ». لقد غزت موجة من التشاؤم غرناطة إبان أندحارها ، وسمع القول بأن شمس الأندلس قد غربت . ومثل هذه الصيحات قد ارتفعت في اوروبا عقب الحرب العالمية الثانية خاصة ، من بين الخرائب والمدن المدمرة والحقول العارية ، الصيحة « سينتهي العالم » وكأنها تعني « ستنتهي اوروبا » . ولقد نشأ بين الحربين العالميتين جيل متشائم طغت عقليته على الأدب والفكر والسياسة ، وقال كثير من المفكرين بانحلال اوروبا . ولقد أشار اشبنجلر مرة الى جماعة من الطلبة العرب في جنيف قائلا : « هؤلاء هم أسياد المستقبل ... » .

هل وصلت اوروبا الى نهاية مداها ؟ وهل بدأ الجذر ؟

لقد أشار المسيو سباك الوزير البلجيكي منذ مدة قريبة إلى أن على اوروبا أن تقوم كوسيط بين الطرفين المتنازعين ، بين الولايات المتحدة والروسيا ، وإلا فأنها ستفقد في ربع قرن مكانتها وتصبح في عداد البلدان المتخلفة . ولقد شهد بقيمة أوروبا هذه كثيرون قبل المسيو سباك ، فقد قال من قبل أحد زعماء النازية « لقد جئنا لنجدد شباب اوروبا »... ومن الواضح أن زعامة العالم قد انتقلت مبدئياً الى واشنطن وموسكو ، واصبحت لندن وباريس من الدرجة الثانية . هذا على الصعيد الادنى .. غير أن من الواجب أن نلاحظ الوحدة الحضارية بين الاوروبي والاميركي والروسي ، فجميعهم تعبير عن حضارة واحدة في فترات متعاقبة ، وعلى هذا الأساس فان اصطلاح الأنسان الاوروبي يشمل الثلاثة جميعاً . وأمام الظروف الحديثة نجد هذا الانسان واحداً في مخاوفه وقلقه ونزعته .

ويذهب أمثال الأستاذ « أمانويل مونييه » الى أن هذا القلق الحديث مسيحي في اصوله ، ولذلك ليس له من دلالة عميقة تشير الى عقم الأنسان الحديث . وانه ليدرس في محاضرته التي اتيت منها بكثير من الشواهد هذا القلق ، فيمثله بالقلق الذي أصاب المسيحية في أيام المسيحية الأولى ، وبالقلق الذي ساد في نهاية الألف الاولى للمسيح ، غير أنه يعترف بأن « الأنسان الحديث ، في تخوفه ، لا يسنده الأمل المسيحي . » ولكن من الثابت ان الاوروبي لايطلب المسيحية الآن ، إن طلبها ، كديانة ، كايمان ، وأنما هو يطلبها كدواء يقيه الموت والانحلال ، وتنشأ ازمة العقائد من أنهيار شامل أصاب الديانتين الكبيرتين في العالم الحديث معاً : المسيحية والنزعة العقلية . ولست استبق هنا الحكم على قيمة هذا الانهيار ولا على مدته . وانما اشير الى مداه الاجتماعي . منذ قرن فقط

(١) المعلم العربي ص. ٢٢ — ٢٣ .

مجموعات « الآداب »

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الثلاث الاولى من « الآداب » تباع كما يلي :

	غير مجلدة	مجلدة
مجموعة السنة الاولى	٤٥ ل.ل	٥٠ ل.ل
〃 〃 الثانية	٢٥ 〃 〃	٣٠ 〃 〃
〃 〃 الثالثة	٢٥ 〃 〃	٣٠ 〃 〃

كان معظم الناس يؤمنون بالحقائق المسيحية ، وكان معظم الباقين يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن العقل الذي يدعمه العلم لا يخطىء . أما اليوم فاننا لا نجد الا ١٠ بالمئة من الناس يؤمنون بالمسيحية ، ولا أدري لعل عدد العقليين المقتنعين اكبر من ذلك .» (١) ولنتساءل الآن عما يؤمن به معظم الباقين وعددهم النسبي ٨٠ بالمئة إننا نستطيع أن نقول استناداً الى ما سبق بأنهم لا يومنون بشيء .. وهنا تعبث في قلوب الجموع ظاهرة أشد أرهاباً ، وادعى الى القلق من غيرها . وهي ظاهرة الانحلال .

والانحلال قد يكون مقدمة لظهور ابداع جديد ، ينبثق من الرحم . وغالباً ما تأتي هذه الظاهرة في اطوار الولادة الاولى . وليس من أمة في التاريخ إلا ومرت في هذه المرحلة. غير أن هناك الى جانب ذلك انحلال من نوع آخر : أنه انحلال العجز والفاقة ويكون وليد العقم في الجماعة ، وهذه الظاهرة تشبه الى حد بعيد الضمور الاخلاقي لدى الفرد : « ولكن هنالك انحلالية أخرى سبق أن ميزها نينشه من الاولى ، دون أن يكون على يقين من أن أوروبا ستنزلق نحوها أو نحو الاولى . هذه الانحلالية ليست الشعور بقوة عظيمة تنشأ ، ولكنها تشنج الاضطراب ، وغضب العجز . » (٢)

ولا شك في أن القول بأن اوروبا تنزل نحو ابداع جديد ، يتضمن الكثير من المبالغة والمراءاة ، كما أن الأخذ بالرأي الآخر يتضمن أساساً من التشاؤم . إن ذلك يتوقف على الاوروبي نفسه ، يتوقف على مقدار ايمانه بنفسه . وما في هذه النفس من قوى جديدة تمده بالحياة .

غير أن الاوروبي لا يتجه الى نفسه ، فهو ينتظر الحل من الخارج من السياسيين والطاقة الذرية .. الخ . إن عصرنا ليس عصر نهضة اوروبية جديدة بل أنه انحدار للنهضة الاوروبية التي بزغت في القرن السادس عشر واستكملت نموها في القرن التاسع عشر . انه انحدار يكشف عنه السير س بنهوفن وبراهمز وتشايكوفسكي الى موسيقى الجازبند والسوينغ والفوكس تروت .. لقد كانت باريس عاصمة فنية لاوروبا أتجه اليها فرانز ليست وشوبان وغيرهم .. أما باريس اليوم فهي منتدى امريكي وهي تطلق تشنجاتها العصبية من الحي اللاتيني ، « أنه لقانون عام أن القوى الغريزية الكبرى حين لا تجد ما يرويها تنقلب الى ضدها . فالحاجة الى اعطاء الوجود أو المعقولية وإلى الخلق والفهم والى الاخراج من العدم والاظهار للنور ، متى خابت خيبة كبيرة ولدت في النفوس الصغيرة أو المتوسطة الحاجة الى الاعدام والتحطيم والى دوس كل ما يند عن سيطرتنا. تلكلم حركة صبيانية ، حركة بدائية ، إن الطفل والبدائي ليظهران فينا دائماً عند انفعال الاخفاق » (٣) ثم يضيف : « أن هذا العالم الذي نداعبه منذ بضعة قرون باليد المرهقة ، يد علمنا وصناعتنا ، يبدو أنه يندعنا الآن ، كحي متوحش لا سبيل الى ضبطه ، وتنقبض اليد ثم تنقبض ، وتستطيع أن تقتل ، وتوشك أن تقتل . هل تقتل ؟ . » (٤)

ويخال الى هنا أن موت اوروبا يعني موت العالم ، غير أن هذه فكرة باطلة . لأن شعوباً جديدة قد أخذت تستيقظ وستتخذ مكانها تحت الشمس .

إن عصرنا ، ليس عصر نهضة أوروبية جديدة ، بل أنه انحدار حقيقي للنهضة الاوروبية التي بزغت في القرن السادس عشر .

لكنه عصر نهضة لشعوب جديدة ، أخذت تستيقظ من سبات طويل ، وهذه الشعوب لن يشملها الموت المزعوم قبل أن تؤدي دورها في التاريخ .

سامي عطفه

---

(١) : المعلم العربي المحاضرة الاولى ، ص — ١٦ .
(٢) : المصدر السابق ص — ٢٤ .
(٣) المصدر السابق ص — ٢٤ .
(٤) : المصدر السابق ص — ٢٤ .

صدر عن دار الكتاب اللبناني

تاريخ العلامة ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الاكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

في خمسة وعشرين جزءاً تظهر تباعاً
صدر منها خمسة اجزاء حتى الآن
ثمن الجزء ثلاث ليرات لبنانية او ما يعادلها
إلى حضرة مديري المدارس واساتذتها المحترمين في جميع البلاد العربية . قبل ان تقرروا كتبكم للعام الدراسي المقبل اطلعوا على هذه السلاسل :

الجديد في القراءة العربية والجديد في الادب العربي

أوسع سلسلة لتعليم اللغة العربية . هي الاولى من نوعها ، في ثلاثة عشر جزءاً تبتدىء من صف الروضة الاطفال وتنتهي في صف البكالوريا :
جزآن لمرحلة تعليم لروضة . خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الأبتدائي (السرتفيكا) اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (البرفيه). جزءان لمرحلة التعليم الثانوي (البكالوريا) .

سلسلة التربية الصحية في المدارس

في جزأين : الأول انت وجسدك والثاني انت وصحتك

السلسلة القصصية لطلاب الادب

يحكى عن العرب الأول والثاني والأدب القصصي عند العرب

تطلب جميع هذه السلاسل من :

مكتبة المدرسة — بيروت ص.ب ٣١٧٦

المكتب التجاري — بيروت
مكتبة النجاح — تونس
دار الكتاب — بالدار البيضاء